طرائف محكيّة وشعريّة

تأليف

د. عبد الأمير ابراهيم شمس الدين





هذه الإضمامة الطريفة
بقلم
سماحة العلامة
السيد محمد حسن الأمين

بسم الله الرحمن الرحيم

«طرائف محكية وشعرية» صورة من صور الأدب الإنساني الطريف، يقدمها لنا عالم من علماء القانون والإدارة والاقتصاد واللغات، يغلب الظن لمن لا يعرفونه شخصياً انه ذو نزعة أكاديمية صارمة، شأنه في ذلك شأن زملائه من الأكاديميين والباحثين. غير أن القارئ لهذه الإضمامه الطريفة من الحكايات والأقاصيص الواقعية سوف تجعله يكشف وراء قناع العالم شخصية الأديب المرحة الطريفة ذات القدرة النادرة على صياغة الطرائف

شعراً بعد أن صاغها نثراً، بأسلوب تغلب عليه التلقائية والسلاسة واللغة السهلة على اتقان في السرد والصياغة وعلى نحو يجعل القارئ في نهم إلى المزيد والمزيد من القراءة باستمتاع ونشوة وغرق في تفاصيل الحكايات متمنياً لو أن الكاتب يمضي في سرد المزيد المزيد منها.

في أدبنا العربي نقص كبير في مثل هذا النوع من أدب الحياة: أدب الحكايات والطرائف الواقعية التي تمر في حياة الأديب. بل قد يذهب البعض إلى حسبان هذا الأدب نوعا من سقط المتاع سهل المنال لمن شاء والحق أن الأمر على خلاف ذلك وأن وراء هذه السهولة والتلقائية في السرد نثراً ونظماً قدراً كبيراً من الموهبة والتمرس بهموم الكتابة والتعبير.

ولقد تفرد الكاتب الحصيف في الصياغة الشعرية اللبقة لهذه الطرائف على اتقان في النظم وسلامة في الأداء بما يوحي بشخصية شاعر لم تستطع الهموم العلمية والأكاديمية أن تخفي

ملامحها الأصيلة والعريقة في داخله، ولا عجب في ذلك فهو سليل أسرة شاعرة عريقة مكنته في شبابه الأول أن يكتب - مبكراً - قصائد من أعذب الشعر. . . ونحن على أمل أن يتحفنا (أبو طريف) في هذا الموسم الناضج من عمره بعناقيد معتقة نحن على يقين من توفرها في العرائش من كروم موهبته العتيقة الجديدة. أطال الله في عمره.

صيدا في 1/ 3/ 2007

محمد حسن الأمين

مقدمة

يعيش الإنسان وهو في أوج عطائه، لحاضره تعلُّماً وتعليماً وبناء وعطاء، وللمستقبل لتأمين راحته فيما بعد وتأمين أولاده للمستقبل ولا يلتفت إلى الماضي إلاَّ إذا كان في الماضي عبرة يستفيد منها في حاضره أو مستقبله، أو ثغرة غير مقبوله لتحويرها إلى الأحسن إذا كانت تُستعاد بشكل ما. وفيما عدا هذه الأسباب، يكون الماضي ذكرى بحسناتها وسيئاتها عابرة غير مستقرة فلا مجال لتخصيص الوقت الكبير لها إبَّان مرحلة العطاء.

وعند تقدُّم العمر والتفرغ للذكرى بعد أن تقلّ المهام، واستعادة الذاكرة للماضي كذكرى قد تُسلِّي وتفرح وقد تحزن إلا أن الوقت الذي يخصص لها في مثل هذا العمر يكون أكبر، وحتى تكون

الأحداث الماضية ذكريات حلوة تفرح وتذهب الحزن والملل واليأس، يستعيد المرء ما مر معه من طرائف أي حالات فيها الطرافة والأنس، فالطرفة من التهذيب والطَّرْف صفة كريمة جمعها أطراف، ويقال أطرَفَ الرجل أي أعطاه ما لم يعطه أحد قبله، أما صفة طريف فهو الشيء الطيِّب الغريب ـ ويقال طرف القوم أي رئيسهم (لسان العرب لأبن منظور) وفي المعاجم الأخرى معان مثل طَرَفَ يطْرُف طرافة ـ كان طريفاً ـ وطرف الشيء عدَّه طريفاً ـ الطرَّف هو الكريم من الفتيان. من هذه المعاني المختلفة في صفاتها ومعانيها نستخلص ما يلي:

1 ـ أن الطُّرفة هي الملحة ـ الغريب المستحسن ـ كل مستحدث معجب.

2 ـ أن الطرفة ومنها الطُّرفة شيء محبب لا يتكرر وفق منهاج روتيني وهي على الأغلب حادث عابر لا يتكرر بالضرورة

3 ـ هي حالة عابرة تختلف عن المألوف الحياتي المعاش.

4 ـ هي كالكلمة الحلوة أو الشعر الجيد، يمكن أن تستعاد، وكبيت الشعر الجميل والمقولة الجميلة ولا يكون في استعادتها أي ملل.

5 ـ تبعث المقولة على السرور فهي تجلي الهم وتبعد الضجر ولو موقتاً بحيث ينبعث بعدها صفاء الذهن والقدرة على التركيز بعد أن أبعدت السامع أو القارئ عن جو الأسى والحزن والوقوع تحت ضغط الأحداث اليومية الإجتماعية والسياسية. . .

وطرائفي المحكية والشعرية هي محطات مررت بها وعشتها شخصياً ولا أظن أن أحداً صادف مثلها في حياته، وإن حدث ذلك فهي نادرة، وبعض الطرائف لم أكن أنا المعني بحيث عشتها شخصياً إنما عايشتها وشَهِدْت حوادثها مع من اتصلت به. وسأحكي طرائفي كما حدثت بالفعل والواقع المعاش وباللغة المحكية في بعض الأحيان للحفاظ

على نكهة وطرافة الحادثة، ثم وصفتها بدقه بالشعر، وأسأل الله أن يكون فيها ما يبعث البهجة والسرور والله ولي التوفيق.

الدكتور عبد الأمير إبراهيم شمس الدين

السباحة الأولى

في مجدل سلم، حيث ولدت وترعرعت، وعشت فيها حتى بلغت الثالثة عشرة من عمري، كان فيها بركة لجمع الماء في الشتاء لسقي البقر وقضاء أية حاجة ومنها السباحة، فهي تتدرج في العمق من القليل حتى الثلاثة أمتار أو أكثر. وكنّا صبية دون العشر سنوات نتمرن على السباحة توصُّلاً للعوم. وتحققت أمنيتي في أحد الأيام ولكنها كادت أن تودي بي وبأحلامي. ذلك أنني أستطعت أن أعوم على سطح الماء مسافة تقارب الخمسة أمتار انتهيت معها إلى عمود يقبع صامتاً وسط البركة. عكس ذلك الراعي الواقف على حائط

البركة، الذي صرخ قائلاً شوقي يغرق وشوقي هو سماحة العلامة السيد أحمد شوقي الأمين، زميل الطفولة والصبا وصديق العمر، أخذتني النخوة، فكيف لا ألبي النداء ما دمت أستطيع السباحة وأخلص رفيقي، فرجعت سباحة حتى وصلت على آخر رمق، فتمسك بي ونزلنا سوياً في نزهة نحو القعر والوحل، فاستعنت بأسناني للتخلص وصعدت أطلب النجدة لي وله، وتقدم أحد السبّاحين فدفعني نحو صخرة قريبة وحمله على ظهره ثم وضعه إلى جانبي على الصخرة، كل هذا والراعي يحث الناس على تقديم العون، وهو الذي كان عليه هذه المهمة فالرعيان يتعلمون السباحة باكراً لأنها تلزمهم عند سوق القطيع للشرب. مضت السنون وكبرنا وانتقلنا إلى النبطية للدراسة،

وعندما بدأت بنظم الشعر تذكرت الحادثة الطريفة بهذه الأبيات:

الغرق في البركة

راعــيــاً كــان الــمُــمَــتْــطَــقْ
بــعــصــاه وهــو أحــمــق
واقــفــاً يــتْــلــوُ بــيــانــاً
إن شــوقــي الآن يَــغْــرَقْ
وهــواة الــعَــومِ حــاروا
أيُّــهُــمْ فــي الــعَــومِ أغْــرَقْ
عــدت لــلــتَّــوِّ ســريــعــاً
بــاســطــاً زنــداً ومِــرْفــق
ضــمــنــي يــا حــســن حــظــي
وبــأهــدابــي تَــعَــلَّــقْ
وهَــوَيْــنــا نــحــو قــعــر
مــن شــعــاب الــبــحــر أعــمــق

وانطلقنا فوق وحل

فيه كا «سكي» نتزحلق

جسمنا بالوحل أضحى

داكناً واللون أزرق

فانبرى شاب قوي

هو في المِضمار أعتق

حمل الغرقى بعيداً

كان بالتجديف أرشق

أبعد الموت وأرسى

أملاً بالحب يَغْبَق

تعييني مدرساً في رامية

عُيِّنتُ مدرساً في وزارة التربية الوطنية، وأحبَّ السيد هاشم الأمين أن يساعدني في الإختيار بين قريتين، قرية يحمر وقرية في قضاء صور، وسبقني في الإختيار انطلاقاً من ظنه أنني من مجدل سلم وهي أقرب لأية قرية في قضاء صور مهما بعدت بالنسبة إلى قرية يحمر في قضاء النبطية. . . اذعنت للأمر وقبلت بالإختيار الذي رضيه لي السيد هاشم ظناً مني أن يحمر هي يحمر البقاع. . . ثم تبين بعد الذهاب إلى القرية التي هي في قضاء صور هي أبعد القرى في القضاء وهي تعد ضمن القرى النائية.

على كل حال، ذهبت إلى هذه القرية وهي رامية وتقع على الخط الفاصل بين لبنان وفلسطين، في مقابلها لجهة فلسطين طربيخا وهي تحت الإحتلال من ضمن القرى السبع التي كانت للبنان.

وصلت القرية على حمار استأجرته لأنه لا توجد طريق معبدة تصل القرية بالقرية التي تصل اليها وسائل النقل وهي رميش، معتقداً أنني ساباشر عملي عند وصولي ففوجئت بعدم وجود مدرسة مجهزة بالمفروشات اللازمة فكان عليَّ الإهتمام بتكليف نجار بصنع الطاولات والمقاعد بعد استئجار المكان اللازم، ومن الطرافة بمكان أن المدرسة التي تم استئجارها تتكون من الأرض والسقف وبينهما السدة وهي التي تكون مقري وسكني،

أي أن الغرفةستكون المدرسة في النهار والمسكن بعد انتهاء الدراسة والذي كان يعزيني في غربتي وانا ابن ثماني عشرة سنة وجود مخفر في البلدة، كنت عند انتهاء وقت الدراسة انتقل إلى المخفر فأقضي وقتي هناك مع شلة يرتاح كل فرد فيها مع الآخر عملاً بقول الشاعر: وكل غريب للغريب نسيب وفي بعض الأحيان كنت أنام في المخفر على سرير شاغر كما أنني في أيام العطلة كنت أذهب مع أفراد الدورية وأكون بذلك قد خدمت عسكرياً ومدنياً بنفس الوقت. بعد فترة استقر وضعي ولم أعد أشعر بالوحدة أو المضايقة من الجمع بين المدرسة والمنزل، لكن الأمر بعد أن وصل إلى وزارة التربية وتفهم الأستاذ هاشم الأمين إشكالية الإختيار وعرف أنني أقيم في

النبطية ولست قريباً من قرى قضاء صور في الناحية الجنوبية، تقرر نقلي إلى قرية في قضاء النبطية هي «سير الغربية» وتركت قرية رامية حاملاً معي منها ذكريات حلوة عن الفترة التي عشتها، وخاصة ما يتصل من حوادث شكلّت في الواقع طرفتين جميلتين، وصفتهما شعراً وسابدأ أولاً بذكر أحداث كل طرفة ثم بعدها الشعر أو الأبيات الخاصة بها.

المشحرة

كما سبق القول، كانت غرفة المدرسة في رامية للدراسة في النهار ومسكناً لي في الليل، ورامية تقع على رابية، بينما مخفر الدرك في الخمسينات كان يلاحق صنع المشاحر وقطع الطرقات. . .

وكان في أخر المنحدر وبداية السهل، وبما أن الشتاء قاس فقد طلبت من التلامذة إحضار الحطب للتدفئة، وبما أن عدد التلامذة يتراوح بين الثلاثين والأربعين، وكان عدد قطع الحطب يصل في اليوم إلى ما يقارب المئة لا نصرف سوى الربع يومياً، فكان أن تجمَّع لدينا بعد عشرة أيام كومة لا بأس بها

لصنع مشحرة، وكنا أمام مشكلتين: أولاً من سيصنع المشحرة والدرك بالمرصاد وأين المكان ولا نستطيع البعد فاخترنا إلى جانب المدرسة قطعة أرض تستعمل عادة بيدراً للحبوب. وساعدنا رجل متقدم في السن بطريقة قطع الحطب وترتيبه وتغطية التراب واشعال الحطب إلى غير ذلك مما تتطلبه المشحرة. وفي اليوم الثالث وقد قاربت المشحرة على إعطاء الفحم، ظهرت نتمشى أنا ورئيس المخفر، فكان يعجب من رائحة يشمها للمشحرة قاصداً مفاجأته وهكذا كان، فحين شاهد المشحرة بقرب المدرسة ضرب كفاً بكف قائلاً ما عاد حدا بيستحي، عصيان قرب مدرسة رسمية، وضحك كثيراً عندما عرف واقع الحال وتكفّل بنقل الفحم بواسطة

جيب الدرك لتحميله على ظهر البوسطة فكانت هذه القصيدة:

المشحرة

برامية رُميت وكنت سهماً
تُصابُ به الجهالَةُ في الصَّميم
نزلتُ بدار مختار عزيزِ
يلاقي الضيَّف في وجهٍ كريم
وكان المخفر المحبوب ركناً
سهرنا فيه سَهْراتِ النعيمِ
بصحبة من بقوا ذكرى بفكري
وسلوى إن غَزَتْ قلبي همومي
فكم شعر نظمناه وفيه
لعنا كل شيطان رجيمِ
ومشحرتي تظل بقرب بيتي
كخلٍ صادق حر حميمِ

ولـمـا شـبَّـت الـنـيـران فـيـهـا
ووهـج الـنـار مـن حُـمَّـى الـجـحـيـمِ
وفـاح شـواؤهـا وامـتـد مـنـهـا
دخـان شـف لـونـاً كـالـسَّـديـمِ[1]
أتـى الـشـاويـش يـرمـقـهـا بـعـجـب
ويـرمـقـنـي بـنـظـرات الـغَـريـمِ
يـقـول بـعـقـر مـخـفـرنـا أُهِـنَّـا
أتـدري مـن تـجـرأ يـا نـديـمـي
وخـالـف دون خـوفٍ أو حـيـاءٍ
أوامـر سُـطِّـرت عـبـر الـرقـيـمِ[2]
فـقـلـت لـه تـرفَّـقْ فـي زمـيـلٍ
دعـاه الـبـرد فـي الـلـيـل الـصَّـريـمِ[3]

(1) السديم: المتغير لونه.
(2) الرقيم: الكتاب المرقوم.
(3) الصريم: سواد الليل، (الآية 20 من سورة القلم). أو البستان المقطوف ثماره.

لِيَقْطِفَ بغدَ أن نضجتْ ثماراً
بلون الليل أو نفسِ اللئيم
تبسَّم واحتواني في عِناقِ
وَوَعدٍ بسمِ رحمَنٍ رحيم
سيأتي الجِيب يحملها صباحاً
ويمشي مشية الرجل السقيمِ

رامية 1951

قصة التابوت

بعد إلحاقي بمدرسة رامية وهي تبعد عن بلدة رميش تقريباً أربعة كيلو مترات، لم تكن الطريق معبدة بين البلدتين فكنت أقطع المسافة مشياً أو على دابة وأستقل البوسطة من رميش إلى صور أو إلى الزهراني لأتابع إلى النبطية حيث يسكن الأهل.

وفي أحدى المرات فوجئت بازدحام في البوسطة لم أشهد مثيلاً له من قبل وكان السبب ذهاب عدد كبير من السكان لأحضار شخص من البلدة توفي في بيروت.

لم أشأ الرجوع بعد قطع المسافة فحاولت الوقوف داخل البوسطة مع كثير من الواقفين

فلم أجد إلى ذلك سبيلاً وقال السائق: اصعد مؤقتاً إلى السطح حتى تصل إلى طريق عام بنت جبيل - تبنين فتنزل وتستقل سيارة أو أية وسيلة أخرى غير «النعامة» وهو الأسم الذي أطلقه على بوسطته.

أذعنت للأمر على الأساس الذي ذكره وإن كنت قد عرفت أن فوق سطح النعامة - يرقد التابوت هانئاً بانتظار ساكنه. وبدأت غيمة برش رذاذها فرأيت لاتقاء الشتاء والصقيع أن أدخل التابوت. حتى هذه اللحظة لا إشكال في الوضع باعتبار أنني دخلت مختاراً، لكن المشكلة وقعت بشكل حزين بعد أن صعد إلى السطح فتى من عين إبل قيل له أن لك رفيقاً فوق، وعندما لم يجد أحداً سوى التابوت، هاج وماج وأخذ يسب ويتوعد ويطلب من

السائق الوقوف، فرأيت من المناسب أن أقف وأشرح له حقيقة الأمر وبذلك أتفادى مشكلة قد تجر إلى عراك لا تحمد عقباه، لكن الأمر جرى على عكس ما توقعت وتمنيت وعملت لأجله، فعندما رآني الفتى أرفع غطاء التابوت أصابته دهشة عظيمة قال على أثرها: الميت عاش، عاش الميت وقفز إلى الأرض والبوسطة تجري، فكسرت ساقه ويده بالإضافة إلى رضوض في أنحاء جسمه فحملناه إلى المستشفى ودفعنا الأجرة وعند وصول أهله، زال غضبهم بعدما تفهموا الأمر وكانوا كِراماً، وكانت أخته من بينهم، صاحبة دور في تفهم الموقف والتسامح، بعد أن قمت بدور الشرح الوافي المقنع، فتعارفنا واتفقنا على لقاءات لترسيخ عرى المودة

والتعارف، وعند رجوعي إلى رامية، تذكرت في إحدى الليالي ما جرى فصورته بهذه الأبيات:

تحت جنح الليل والدنيا ظلام
هاج شوقي إن شوقي لا ينام
فامتطيت الأرض في الفجر عسى
في رميش امتطي ظهر النَّعام
لم أجد واسوء حظي مقعداً
حافلات النقل صارت كالترام
قيل لي: في السطح ما يغنيك عن
وقفة الذل بذاك الإزدحام
فارتضيت الأمر لم أحفل به
وعلوت السطح كالسبع الهمام
حاسر الرأس وشأني شأن من
في رحاب الحج يسعى في المقام

وإذا في الركن تابوت جثا

ناعم الملمس يرنو باهتمام

وبكاء الغيم لسع صامتٌ

والصقيع المر يدمي كالحسام

لم أجد في محنتي لي مهرباً

غير أن أدخل تابوت الحِمام

وإذا بالباص أقعى جانباً

وأناخ السطح كي يرقى غلام

أخبروه سوف يلقى رفقة

فوق سطح الباص ترعاه الذمام

صار كالمرجل يغلي صائحاً

هل رفيقي الميت ياشر اللئام

قف تمهّل ودِّع الدنيا وقل

عند عينبل على الدنيا السلام

ستلاقي عاجلاً من قبضتي

حتفك الموعود والموت الزؤام

كي اداري، شاءها مشكلة

حظِّيَ العاثر حاولت القيام

صاح من دهشته عاش الفتى

وهوى للأرض قفزاً وارتطام

وجزائي ومعي السائق أن

ندفع الغُرم لتجبير العظام

وأتى الأهل استشاطوا غضباً

فاحتويناهم بمعسول الكلام

وارتضوا فيما جرى إذ عرفوا

أننا قمنا بحق الإلتزام

وتصافحنا وكانوا باقة

من سراة الناس والقوم الكرام

وبـدت مـن بـيـنـهـم لـي غـادة

كـشـروق الـشـمـس والـبـدر الـتـمـام

أرسـلـت مـن طـرفـهـا لـي خـلـسـة

نـظـرات جـارحـات كـالـسِّـهـام

جـازت الـعـيـن إلـى الـقـلـب بـلا

ضـابـط يـمـضـي جـوازات الـهـيـام

وابـتـسـمـنـا ورسـت آمـالـنـا

عـنـد وعـد جـاء مـسـكـاً لـلـخـتـام

السباحة في الغُري

تعرفت في سير الغربية، وهي قرية في قضاء النبطية، نُقلت اليها معلماً في مدرستها الرسمية، على معظم سكان القرية ومن بينهم برز الحاج ح. م صاحب حضور طريف وحديث حلو ونباهة، إلاّ أنه كان ضعيفاً أمام سماع ذكر الحية ناهيك عند مشاهدته إياها، وكان يتنذر بذلك، وحكى لي أنه كان يستقل البوسطة إلى بيروت و إلى جانبه يجلس رجل يحمل كيساً، واراد الرجل أن ينزل لشراء علبة سجائر وأوصاه بالكيس، وعند رجوعه سأله هل ضايقتك؟ فقال من؟

أجابه: الحية التي في الكيس فما كان منه

إلاّ أن صفعه ونزل من البوسطة مهرولاً ومبتعداً وكان البعض ممن يعرف عنه هذه الحالة، يفرد عقالاً أمام مدخل بيته، وعند رجوعه من السهرة ويرى ذلك العقال ويعتبره حية يهرب وينام في الجامع أو أي مكان يؤويه.

في جلسة كان فيها مرحاً، أخبرني أن له صديقاً من قرية شحور المقابلة لقرية سير الغربية، وبينهما يجري نهر الليطاني، وان هذا الصديق ويُدعى م. ر، كان على علاقة وطيدة مع الحاج. ح لدرجة أن أحدهما كان يعتبر نفسه ليس ضيفاً على الآخر بل صاحب بيت، وأن هذا الصديق دعاه مرة إلى النزول إلى النهر للسباحة والغداء ثم يذهب كل منهما إلى قريته، ولكن هذا الأخير قام خلسة بجمع

ثياب صديقه وحملها إلى القرية وتصنَّع البكاء والحرقة وأخبر أهله بأن النهر حمله بعيداً وغرق. وتنادى أهل القرية وحملوا التابوت ونزلوا وهم يلطمون الخدود والصدور ويبكون، غير أنهم وهم في الطريق إلى النهر يفاجأون بالحاج. ح يسير عارياً إلاً من بعض الأوراق تغطى سوءته (عورته). فاستشاطوا غضباً وفتشوا على م. ر فلم يجدوه فقد توارى هارباً إلى بلده، فقال لهم الحاج. ح: انسوا ما جرى فأنا كفيل برد الصاع صاعين في الوقت المناسب، وأوصاهم أن يتظاهروا أمامه عند رؤيته فيما بعد، أنهم نسوا الحادثة أو أنهم وجدوها حلوة وطريفة وأن يكونوا على استعداد عندما يطمئن، للرد بالطريقة التي سينفذها وبالفعل عندما التقيا فيما بعد ضحكا

كثيراً وقبّل كل منهما الآخر وكأن شيئاً لم يحدث.

هذه الطرفة أو القسم الأول منها سمعته ولم أشهده كما شهدت القسم الثاني منها، أي رد الصاع صاعين والكيل كيلين فكان تأثير هذه الطرفة باعثاً لي على وصف ما جرى بهذه الأبيات:

السباحة في نهر الليطاني والعُرْي

سَبَحَا في النهر ذي اللُّج العميق
لا حصى يؤذي ولا موج يُعيق
واستراحا بعد عُرْيٍ فاضحِ
فوق عُشب سُندسيٍ ورفيقِ
صاحب الدعوة يرنو للسما[1]

---

(1) كان ممدداً على ظهره ووجهه نحو السماء.

تــارة يــغــفــو وطــوراً يــســتــفــيــق

والـصـديـق «الـجـن» يـسـعـى خـلـسـة

يـجـمـع الأثـواب فـي كـيـس عـتـيـق

وأتــى الــقــريــة يــشــكــو بــاكــيــاً

ضــاع مــنــي صــاحــبــي راح غــريــق

فــتــنــادى الأهــل مــن حــرقــتــهــم

يــذرفــون الــدمــع تــبــراً أو عــقــيــق

نــزلــوا لــلــسـفـح، فـي دهـشـتـهـم

وجــدوه قــابــعــاً وســط الــطــريــق

حــاســر الــرأس عــلــى ســوءتــه

ورق الـــتـــيـــن نـــدي ورقـــيـــق

صـاح يـا أهـلـي تـنـاسـوا مـا جـرى

فــأنــا أصــفــح عــن ذاك الــشــقــيــق

القسم الثاني من الطُّرفه أي الرد

بعد مرور أكثر من شهر على حادثة السباحة في النهر وحصول لقاءات متعددة، اطمأن م. ر، ونزل ضيفاً من جديداً في دار الحاج. ح، ودعاني هذا الأخير إلى مشاركتهم في العشاء وأوصاني بعدم الأكل من البيض المقلي بالزيت ومن المشاطيح المصنوعة من الزوان[1] والمجبولة بالزيت وبمادة مخدِّرة وسأعرف السبب فيما بعد. وكان الضيف المعزَّز أكولاً فقضى على معظم البيض المقلي والمشاطيح، وجاء الفعل

(1) الزوان حب يكون مع القمح وفيه مادة مخدرة.

المطلوب كبيراً إذ انطوى على جسمه غافياً غفوة أصحاب الكهف مع فارق هو شخيره الذي بلغ عنان السماء وأرجف الصغار في الطرقات المجاورة. طلب الحاج. ح من الشباب الذين كان قد أعدَّهم أن يحضروا التابوت ويضعوا الضيف فيه ويحملونه إلى المقبرة. وهنالك والصقيع يدمي الوجوه، أحس ضيف المقبرة بقرص البرد يغزو معدته ويجعل ما فيها يتثاءب ويلين ويسيل هارباً إلى الأسفل، أفاق والرائحة تزكم أنفه وتكاد توقظ الأموات من شدتها وذهب إلى البركة يخفف بعض ما لحقه من جزاء، وذهب لا يلوى على شيء حتى أنه في حياء من أن يلتفت خلفه.

هذا القسم الثاني من الطرفه شهدته

وحضرت مسرحيته فكان لا بد من وصف ما حدث فكانت هذه الأبيات:

النوم في المقبرة

شَـحَـذَ الأنـيـاب واشْـتَـلَّ الـلِّـسَـان
قـائـلاً يـا ربُّ أنـت الـمُـسـتـعَـانْ
ربُّ سـاعـدنـي بـمـضـغٍ قـاطـع
كـي أنـال الـفـوز مـن ذاك الـخُـوان[1]
وانـبـرى لـلـبـيـض يـجـلـو سِـرَّهُ
فـاغـراً فـاهُ كـمـا الـسـبـع الـمـهـان
يـقـذف الـلـقـمـات فـي جـوف رَبَـا
ثـم يُـهـديـه مـشـاطـيـح الـزوان
فـعـل الـبـنـج بـه فِـعْـلَـتَـهُ
فـمضـى في الـنوم مسلوب الـجنان

(1) الخوان: وعاء يوضع فيه الأكل.

وضعوه فوق تابوت الردى

ومع الأحلام تحت النجم كان

وصفير الأنف من شخرته

أيقظ الأموات من ماضي الزمان

لسعة البرد أصابت بطنه

فمضى الإسهال يجري في أمان

ورأى ما حل في سرواله

فمضى في الحال واجتاز المكان

قائلاً في حسرة يا ويلتي

قد خسرت اليوم معقود الرهان

الحمار والعتابا

في بلدة كفر صير، وهي في قضاء النبطية، وفي بيت وكيل آل عسيران، حيث يسكن أبو العبد سرحان، كنا نجتمع للتسلية مرة بالحديث ومرة بلعب الورق كلعبة بريئة، ومرة بنظم الشعر والغناء وكانت الشلة تضم شعراء ومثقفين ومن يتمتع بصوت جميل.

كان ينزل في هذا البيت الكريم، بائع زيت متجول يحمل الزيت على حمار ويتنقل به بين القرى، وينام في إحداها عند حلول الليل. تقرر أن نقضي السهرة بغناء العتابا والميجانا والشروقي، وطلب صاحب البيت منا أن نُشْرِكَ الزيَّات بالغناء لأنه يتمتع بحنجرة جيدة

وصوت حسن، يعرفه من المناداة على الزيت، وهكذا كان وتقرر أن يكون الغناء مداورة تنتهي لتبدأ من حيث بدأت أولاً وهكذا وصل الدور إلى الزيَّات فرفع صوته بالميجانا وعندما سمعه الحمار المربوط في الخارج بدأ بالنهيق، أصاب الزيَّات بعض الحياء ولم نُعِرْ الأمر أهمية في البداية، لكن الحال تغير في الجولة الثانية عندما وصل الدور إلى الزيَّات وفتح فمه بالميجانا وإذا بصوت الحمار يعلو بالنهيق، ضحكنا وخجل الزيَّات لكن الأمر في النهاية انعكس على الزيَّات فقد خرج وذهب بعيداً مجللاً بالخجل والغضب من الحمار.

وصفت ما جرى بالأبيات التالية واستطردت في البيتين الأخيرين إلى الموضة الجديدة في الغناء الذي يؤدِّيه المغنون

والمغنيات بحركات الجسم كأن الأمر يتطلب حركات سويدية، أو عرض أجسام أو أزياء:

الحمار والعتابا

دنـدن الـزيَّـات يَـشْـدُو مـيـجـانـا
صـوتُـه الـصَّـافـي يـدوي بـالـعـتـابـا
والـحـمـار الـفَـذْ مـن مـعـلـفـه
ظـن أن الـدَّورَ يَـدعـوُ فـاسـتـجـابـا
بـنـهـيـق صـمَّ آذانـاً بـهـا
وَقَـرَ الـسَّـمـع وغـشَّـاهُ ضَـبَـابـا
دارت الـدورة والـزيَّـات فـي
صـمـتـه يَـقْـضـم هَـمـاً واكـتـئـابـا
قـيـل لـلـزيَّـات جـرِّب ثـانـيـاً
تَـلْـقَ مـنَّـا الآن شـكـراً وثـوابـا
بـعـد أوفٍ ونـهـيـق فـاضـحٍ
حـمَّـل الـزيـت وفـي الـعـتـمـة غـابـا

صـاح لا تـعـجـب فـهـذا شـأن مـن
يـدَّعـي الـفـنَّ اعـتـداءً واغـتـصـابـا
نـاسـيـاً مـا جـاء فـي قـرآنـنـا
عـن نُـشوز اللَّـحن وصـفاً وعـقـابـا[1]

كفرصير 1954

(1) إن أنكر الأصوات لصوت الحمير.

قراءة الفاتحة

في بيت أبي العبد سرحان المار ذكره، حيث كنا نجتمع كان يشاركنا في جلسات اللهو والطرف والأحاديث المتنوعة حاج مثقف وذكي وصاحب نكتة لطيفة، غير أنه اعتاد في الدخول إلى البيت والخروج منه، أن يطلب منا أن نقرأ الفاتحة على القبور، نظراً لأن المقبرة في الطريق إلى البيت. في إحدى المرّات، وكان الجو ملبداً بالغيوم إلا أن نزول المطر كان قد بدأ رذاذاً، طلب مني أن أقرأ الفاتحة معه على أرواح الذين في المقبرة، فقلت له ليس الوقت مناسباً فأجابني بأن في الفاتحة أجراً وثواباً يطالنا ويطال الأموات

أذعنت للأمر وقرأت الفاتحة بسرعة ثم قلت بصوت عال: رحم الله أموات من أعادها ثانياً وثالثاً، وهي عبارة نرددها عند قراءة الفاتحة في بعض الأحيان. إلا أنني والمطر قد بدأ يشتد، دلفت بسرعة إلى البيت، تاركاً الحاج يعيدها مرتين. كانت النتيجة سيئة بالنسبة للحاج فقد وصل إلى البيت مبللاً وهو يقول عاتباً لماذا فعلت بي ذلك، فأجبته بأنك البادئ. والبادئ أظلم. ووصفت الحادثة بالأبيات التالية:

قراءة الفاتحة عند القبور

قال لي خَفِّفْ لنقرا الفاتحة
لِنُفُوسٍ في قبور صالحة
فلَنا في الحمد أجرٌ واعدٌ
بخلود في جنان فائحة

فتَلَوتُ الحمد مُرتاحاً ففي
روضة القرآن أزكى رائحة
وبَدَتْ في الجو فوقي غيمةٌ
بدأت تبكي بُكاء النائحة
قلت للحاج أعدها ثانياً
ثم ثلِّثها فتغدو رابحة
ثم هرولت ليبقى شاخصاً
لي عيوناً غاضباتٍ كالحة
كرَّر الحمد ثلاثاً ومضى
يعصر الثوب مياهاً مالحة

كفرصير 1953

سهرات المدرسة الإنجيلية في النبطية

كنا شلة فيها الصحافي وأستاذ الجامعة والمحامي والشاعر والتاجر والمعلم. . وكنا نجتمع في المدرسة الإنجيلية في سهرات علم وأنس، وبعد إنتهاء السهرة يذهب كل واحد منا إلى بيته، في السيارة إذا كان بيته بعيداً، أو راجلاً إذا كان البيت قريباً. وكان للمدرسة بوابة عريضة كانت مخصصة لدخول السيارة، وقد غُرز عند مدخلها من الخارج قضبان حديد (شلوفة) بعلو متر تقريباً وسميكة، لمنع السيارات في النهار من الوقوف، تحاشياً لعرقلة دخول السيارات. في نهاية إحدى

السهرات وكنا قد أطَلْنا السهرة حتى قُطعت الكهرباء، جريت بسرعة نحو سيارتي ناسياً الحديد المنصوب، وبسبب العتمة وسرعة الجري ضربت العمود أو ضربني بشدة بقيت على أثرها أتألم لعدة دقائق. وبعد أن ارتحت ما يكفي لإسترداد قوتي للصعود إلى السيارة والذهاب إلى بيتي الذي كان في الطابق الرابع ولا يوجد في البناية مصعد. وصلت بجهد إلى المنزل ونمت بعض الوقت وإذا بي أُفاجأ في نصف الليل بألم شديد مقلق، وبِوَرَم حول ركبتي. وفي الصباح الباكر اتصلت بأخي الشاعر عبد الكريم وأخبرته بالأمر، فجاء مسرعاً وحملني بمساعدة ابني نصير على كرسي وأنزلاني إلى السيارة وذهبنا للطبيب الأخصائي فقرر بعد تصوير الركبة أن أبقى في

الجبس (الجفصين) مدة أسبوع ومعالجة الورم حتى يزول وعندها يقرر ما يلزم. بعد الأسبوع فك أسري من الجبس وبنتيجة التشخيص بعد الصورة من جديد، قرر إعادة الجبس مرة ثانية ولمدة ثلاثة أسابيع، وخلال إقامتي الجبرية، وصفت حالتي في الجبس محبوساً مرة لمدة أسبوع ومرة ثانية لمدة ثلاثة أسابيع، وصفت معاناتي مع الجبس وقلة النوم وقارنت وضعي مع وضع لبنان المنقسم إلى معسكر شرقي بقيادة حكومة ومعسكر غربي بقيادة حكومة ثانية وكيف يتألم لبنان واللبنانيون من هذا الإنقسام وهذه الشرذمة وعدم التوحد، ورأيت أن وضعه يحتاج إلى طبيب يداوي الجراح ويصف الجبس لتجبير ما هو ممزق ومكسور، فكان الوصف بالأبيات التالية، مصوراً لحالة

الإنقسام وعدم جدوى لجان وقف القصف التي كانت تعقد في ميدان سباق الخيل ويعود القصف بمجرد ذهاب كل فريق من المجتمعين إلى معسكره.

حكايتي مع الجبس والوفاق الوطني

نزعت الجبس عن فخذي وساقي
وقلت لركبتي فكي عتاقي
لعلِّي أستطيع السَّير حتى
أ لاُقي سَلْوَتي بين الرفاقِ
فقال الجبس مهلاً يا رفيقي
فأنت بصحبتي يا صاح باقي
طبيبك قد قضى بالحبس شهراً
ستبقى فيه مشدود الوثاقِ
فنفِّذ يا صديقي الحكم طوعاً
أو استأنفه تنْعَمْ بالفراقِ

فيبقى الداءُ مصلوباً لفخذ

وجرحٍ نازفٍ مُرَّ المذَاقِ

فقلتُ الصبر أهون ما أعاني

وإن الدّاء أصعبُ ما ألاقي

وبتنا[1] والرقاد يمر حينا

على عجل ويُزري بالتلاقي

نُمني النفس في لقيا نعاس

وحلم فيه ساقية وساقي

ويأتي الفجر والأحداق عطشى

وطرف العين محمر المآقي

لعمرك هَلْ قبضت الصِّدق ممَّن

رصيدُ حسابه رهن الوفاق

وفاق فيه معسول الأماني

وفيه الحب يجري كالسواقي

---

(1) بتنا أنا والألم والجبس.

بـه الأطـراف قـد نـادوا وشـادوا
لـه صـرحـاً عـلـى نـادي الـسـبـاقِ
ولـسـنـا واجـديـن الـيـوم فـيـه
سـوى وهـم تـعـمَّـد بـالـنـفـاق
ولـولا نـخـوة الـجـراح كـنـا
نـحـرنـا بـعـضـنـا نـحـر الـنـيـاقِ
فـديـت الـجـبـس فـالـجـراح أدرى
بـأن الـجـبـس فـي الآلام واقـي
تـمـنـيـت الـوفـاق يـكـون جـبـسـاً
يـقـي مـن شـر تـجـار الـشـقـاق
ويـحـمـي مـوطـنـاً ويـصـون شـعـبـاً
يـكـافـح لـلـتـلاحـم والـتـلاقـي

النبطية 20/ 2/ 1988

حالتي مع شلف الحديد والشلة

كما سبق وذكرت أننا كنا شلة متنوعة الثقافة والمهن نسهر في بيت مدير المدرسة الإنجيلية في النبطية الأستاذ الشيخ منذر أنطون، وفي إحدى الليالي خلال إقامتي الجبرية في الجبس تذكرت ما جرى، قمت بهجاء شلف الحديد والتعريض بالرفاق الذين لم أجد منهم مساعدة، في الواقع لأنهم ذهبوا بسرعة، إنما عزوت ذلك لأسباب يتصل كل سبب بصفات خاصة بكل منهم مثلاً إدمون شديد مراسل صحفي لعدة صحف، يمتاز بدماثة خلق إنما يتضايق من شرب السجائر، وأخي الشاعر عبد الكريم كان يشكو من ألم

في كاحله ويعرج، والأستاذ ابراهيم حريري محام يُراعي مصلحته، أما الأستاذ غسان سعيد (أبو ريان) فكان في ذلك الوقت يشكو من ألم في ساعده، ولذلك لم ألْقَ من أحد مساعدة فوصفت الحالة عند إصابتي وتعرضت للسهرات التي بقيت تقام في غيابي والتي قررت العودة اليها حتى مع وجود الجبس، ففي الواقع أنني كنت بمساعدة عصاي أتوكأ عليها أنزل من الطابق الرابع واستقل السيارة (رجلي اليسرى هي المصابة) وأسهر مع الرفاق وأعود كما جئت، فكان الوصف بأبيات زجلية، لأن الحاجة دعتني لأذكر بعض العبارات باللغة المحكية محافظة على طرافتها.

شلف الحديد

دارَكْ يــا مُــنــذِرْ أنــطــون
مــزروعــا وْرُود مْــحَــبّــة
لَـكِـنْ شِـلْـفَـكْ هـا الْـمَـلْـعُـون
وَقَّــف تَــنَّــخ بِــدَرْبِــي
زْرَعــتــوا عــا لــبــوابــة جِـلـفْ
تَــنَّــخ مــا كــان يْــحــيِّــد
فِــلــتــلــوًّ لــوْ مَــرْ الــوِلــفْ
سَـخْـسِـحـلـوا بْـتَـاخُـذْ جَـيِّـد
شــو فِــكْــرَكْ إنُّــو طــالِــبْ
عَــمْــيُــدْرُس عــا دَيَّــاتِــك
عــا دْروسَــك مــانــي عــاتــب
هَــولــي هِــنــيِّ شــيَّــاتــك
وقَّــفْ لِــي بِــنُــص الــدَّرب
وَرَكِّــز عــا لــرُّكْــبــة خْــرَابــو

وعـا فَـخْـذي بَـلَّـش بـالـضَّـرب

سَـيْـف نْـشَـال مْـنِ قْـرَابُـو

ظـلَّـيـت عَـا فَـخْـذِي قـايـم

والـشِّـلْـف يْـبُـص غْـلَـيِّـي

وفِـكْـرُوا إنـي رَاحْ قـاوِمْ

وْنـاوي يْـبَـلِّـش بِـيـدَيِّـي

نـاديْـت الـنَّـخْـوي يَـا صْـحَـابْ

وأصـحـاب الـنَّـخـوة نـامـوا

والـشِّـلـة الْـكَـانُـو عـا لْـبَـابْ

صَـلُّـوا عـا رُوحـي وْصَـامـوا

مَـا رَاح إعـتَـبْ عـا لـشِّـلـة

نْـحَـازُوا لـلْـمُـنْـذِر أنـطـون

يـا تِـغْـتـيـري ويَـا ذِلِّـي

وَيْـنْ رَاحْ صِـيـرْ وشُـو رَاحْ كُـون

إدمــون عَــا لــسَّــهــيــرة شْــديــد
مَــانِــعــهــم شُــرْبِ الــدخــان
حــتــى نْــقِــيــم شِــلْــفِ الــحَــديــد
بِــيــصــيــر يِــرْجُــفْ وْفَــزْعَــان
وْبــنْــدَهْ عــا خــيِّــي الــشَّــاعــر
حــتــى يْــشَــاركــنــي بْــحَــزْبــي
بــيــقــول مــا بِــقْــدَرْ غــامِــرْ
بــعــدو بْــيُــوجَــعــنــي كَــعْــبــي
بــتــلَــفَّــت صــوبِ ابــراهــيــم
تــا يْــحَــدِّدْ لــي أتــعــابــو
عــا الــدَّعــوة الــلــي راح نْــقِــيــم
عــا الــشِّــلــفْ وعَــا أَصْــحَــابــو
قــلِّــي بْــتِــرْبَــحْــهــا يَــا أَخْ
وَفَــرَشْ تــحــتــي حَــريــرو

وْلَمَّنْ مُنْذر صَوبو نَخ

خَلَقُولي عا الزِّيرو

نَخْوةْ خَيَّك بو ريَّان

بْتِعرفْها مِنْ شَوْطاتو

لَكِنْ عُذروا إنّو كان

إيدُو رَابطْهَا بْبَاطو

صَاحِبْكُم صَفَّى وَحيد

يِتْوجَّع بلا ناصِر

خِطَّتْكُم شِلْفِ الْحَديد

تَا تْزيحوا وَاعي وشاطِر

مُنذر أَنْطُون يَا حبُّوب

يا مْفَكِّرني بْلاَ عَازي

عنْ دَارَكْ مَا رَاح بْتُوبْ

لَوْ جِيتُوا عَا لْعِكَّازي

النبطية 20/ 2/ 1988

وصف الرفاق في شلة السهرات في المدرسة الإنجيلية

يتضمن الوصف ما كان يتفوه به كل مشترك في لعبة الورق البريئة «الأربع مية» من عبارات هي سِمَة لكل فرد من أفراد الشلة بما يقال له عادة «محط كلام» والأشخاص المذكورون في القصيدة هم: الأستاذ منذر أنطون مدير المدرسة والحاج أمين شاهين صاحب البيت المفتوح للشلة، من عائلات النبطية المعروفة وجاهة وسياسة، والأستاذ عبد الكريم شمس الدين الشاعر الكبير والأستاذ إبراهيم حريري المحامي البارع، والأستاذ غسان سعيد، مأمور نفوس النبطية

وصاحب النفس العالية، والأستاذ إدمون شديد الصحافي اللامع، وأبو سعيد عبدالله (فؤاد) تاجر معروف وإبراهيم أبو ملحم (كريم وصاحب نخوة ونكتة) والسيد حسين الأتات وهو موظف في الريجي، دمث الأخلاق...

وقد ذكرت هذه الأسماء وما يتصف به كل واحد منهم لتوضيح ما سوف تتضمنه أبيات الزجل التالية وليكون القارئ على بيِّنة من الوصف:

جلسة (الأربع مية)

يَا رَايِحْ تِنْسَى الأحْزَانْ
مِيِّل عَا الأربَعْ مِيِّة
لِعبِةْ تِسْلايِةْ ونِسْيَان
لَهْمُوم كُلِّ البَرِيِّه

نـبَـيْـتِ الـمُـنْـذِرْ والـسَـجَّـان

عـا لْـبـوَّابـة الـتَّـحـتـيـة

يِـغْـلَـمْ بْـقُـدُوم الإخـوان

شِـلِّـة حُـبِّ وْحِـنِّـيِّ

والْـحَـاجْ بْـبَـيـتُـو الـمُـنْـصَـان

الْـمَـفْـتُـوح حتَّـى الـصُّـبْـحِـيـي

بِـيـقُـول خـيَّـك بُـو ريَّـان

يَـلاَّ بْـخَـمْـسِـة يَـا خَـيِّـي

وِبْـيِـرْجَـعْ بَـعْـدَا خَـسْـرَان

حَـسُّـوْن خَـسَّـروا هِـيِّـي

وابْـرَاهـيـم دَومـاً زَعْـلان

مَـا حَـدَا مْـصَـفِّـي الـنِّـيِّـي

عَـا طُـولْ بِـشْـريـكـو حَـمـآن

وِيْـقِـلُّـوا هَـدِّي غْـلَـيِّـي

بـــو فَـــادِي رَاعِـــي الْـــغِـــزْلان

بـــيِـــتْـــســـلـــى مِـــغْـــنَـــا شْـــوَيٍّ

مِـــنْـــقُـــولْـــو يَـــلاّ كَـــمَـــانْ

بِـــيـــقُـــوْلْ مَـــا عَـــدِشْ فِـــيِّـــي

مُـــنْـــذِرْ بـــالـــكُـــبَّـــة هَـــيْـــمَـــان

بِـــيـــكْـــرُجْـــهِـــن كَـــرْجِـــةْ مَـــيٍّـــي

والأثَـــاثْ فِـــكْـــرُوا حَـــيْـــرَان

بـــيـــلْـــعَـــبْـــهَـــا لِـــعْـــبِـــة نِـــيِّـــي

بُـــو سَـــعِـــيـــد خَـــيـــرِ الـــجـــيـــران

فـــي حَـــيِّ الإنـــجـــيـــلـــيـــة

بْـــيُـــضْـــمَـــنْ لَـــكِـــنُّـــو فَـــزْعَـــان

لَـــو كَـــانـــتْ بْـــتـــجِـــيـــب مِـــيِّـــة

بُـــو عـــلـــي لَـــوْ كَـــانْ خَـــسْـــران

بْـــيِـــلْـــعَـــبـــهـــا لِـــعـــبـــة غـــيِّـــه

يـربـح يُـخْـسَـر شُـو مَـا كَـانْ
مْــفَــكّــرهَــا شُــرْبَــةْ مَــيّـــي
بــو فَــارِس لِـمْـخَـاوي الـجَـان
لِــغْــبَــاتُــو عَــنْــتَــرِيّــه
لـكـن مَـعْ خَـصْـمُـو غَـسَّـان
مَـجْـبُـور يِـخْـسِـبْ لِـلْـمـيّـه
ويْـيـبـقَـى لاعِـبْ تَـعْـبـان
لاَطِــي بــظـــل الـــفـــيِّــي
بـيـرمـيـهـا وْهـوِّي نَـعـسَـان
لا فَـــكْـــهَـــا وَلا مَـــزِّيِّـــتـــي
بـيـطـلـب نَـجْـدِي يَـا كِـدْعَـانْ
والـــكُـــل يْـــدِلُّـــو عْـــلَـــيِّـــي
ولَـعـيـب آخـر هـا الـزَّمـان
بْــدَقَّــاتُــو الْــعَــنْــتَــرِيِّــة

يــبَــلّــش لِــغــبِ الــبَــهْــلَــوَان
وِيْــمَــرْجِــخْ فــيــه وْفِــيِّــي
بُــخْــسَــرِ وِبْــقُــولْ يَــا إخــوَانْ
هَــيــكــي اعْــمِــلْــتُــوهَــا فِــيِّــي
الــلّــهْ يــلَــبِّــس هَــا الإنــســان
شِــي جِــنْ وْشِــي جِــنِّــيِّــي

النبطية 1/ 3/ 1988

طرائف خيمة البيئة

أعود للتذكير بأن، الشلة أو الرفاق الذين كنت أشاركهم السهرات في المدرسة الإنجيلية في النبطية انتقلوا إلى بيت آل شاهين الكرام، حيث كان الصديق الوفي الحاج أمين شاهين يستقبلنا بكل بشاشة وكرم وترحاب وخرج من «الشلة» بعض الأشخاص، كما دخلها من جديد عناصر جديدة. ولكننا بعد مدة، ونظراً لغياب الحاج أمين شاهين عن النبطية في بعض الأحيان، انتقلنا فترة قصيرة إلى منزل الصديق الكريم إبراهيم أبو ملحم (أبو فارس).

ولكننا في الوقت ذاته كنا نفكر بإستئجار

مكان نعتبره نادياً نقضي فيه السهرات ونخدم بعضنا البعض مداورة، في صنع الشاي أو القهوة، فتقدم الدكتور ماجد بعلبكي، الصديق الوفي والمحب، وهو رئيس جمعية حماية البيئة والمحافظة على التراث في النبطية باقتراح وهو أن يقوم أبو فارس المار ذكره بإقامة خيمة في جنينة مركز الجمعية، كخيمة رمضانية خلال شهر رمضان، ثم تصبح مكاناً لسهراتنا واحياء الأمسيات الأدبية والإجتماعية...

وهكذا كان وأصبح لنا مكان اعتبرناه نادياً لإجتماعاتنا وسهراتنا وتم استئجار خادم وحارس. غير أن الجنينة كانت بكراً إلى حد ما، وكانت تلقى عناية إنما محدودة، لذلك كنا نتعرض لبعض المضايقات من البرغش أو

بعض الحشرات كالعقرب والصرصور وأم الأربع والأربعين وفروخ الحية القاطنة في الجدار وقد تمت معالجة هذه الأمور بالعناية الفائقة لرئيس الجمعية الدكتور ماجد بعلبكي وللأخ أبي فارس والحارس، بالتشذيب وقلع الأعشاب، وزرع الورود، ورش الأدوية والتنظيف بالماء... حتى غدت الجنينة جنة يرتاح فيها من يقصدها وينعم بالعشاء البيئي الذي لا تدخل في صناعته اللحوم. إلاّ أنه كان يتردد على الخيمة يوم السبت والأحد من كل أسبوع صديقان عزيزان هما السيدان يحي ذياب (أبو ربيع) وهو مهندس وابن أخت مدير الخيمة أبي فارس والسيد خليل يوسف من وزارة المالية، وقد خرجا على قاعدة الخيمة فكانا يحضران اللحوم والدجاج ويقيمان

للحاضرين وليمة سخية حتى أن أحدهما وهو السيد خليل يوسف وعد أن يحضر في المرة القادمة طيور الفر، لكن لسبب ما فرَّ الفِرُّ من العشاء ولذلك اقتضت الإشارة إلى ذلك، تفسيراً لما تضمنته القصيدة التالية من ذكر هذا الأمر.

قصيدة في وصف جنينة البيئة في أول عهدنا بها قبل أن تلحقها يد العناية وتجعلها جنينة غنَّاء ومكاناً للراحة وإقامة الأمسيات والحفلات وأعياد الميلاد، وباختصار مكاناً للفرح والمرح والثقافة:

قصيدة خيمة الحرية

يا خيمة البيئة الخضراء تعزيةً
بموت حلمك في صنع الأساطير
أصبحت وا أسفي في قلب دوحتنا

رغم التفاخر وكراً للصراصير
والبرغش الفذ يهوى المص من دمنا
لا فرق في العتم أو حتى مع النور
والنسمة البكر تأتي وهي حاملة
نفخ الأراكيل أو فوح المجارير
ولست أنسى وان جاملت صاحبها
زحف الأفاعي ولسعات الدبابير
ويُشرع العقرب الجوال في صلف
بين الزبائن عاقوصاً كساطور
رش المبيدات ما أعطى نتيجته
لا في النفير مضى أو كان في العير
وصيدة الفر مرَّت وهي حاملة
ما كان يُبذخ من لحم القراقير
وحل من بعدها حرٌّ غدا علماً
في حرقة البطن أو صنع البواسير

أنحن في روضة غناء يسحرنا
صوت البلابل أو شدو الشحارير
أم نحن في غابة صارت كواسرها
توزع الرعب في قلب النواطير
ضاع الرجاء وأضحى حلمنا خبراً
لا خير فيه كأحلام العصافير
يا هيئة البيئة الخضرا معذرة
صيغى البديل وفي درب الهدى سيري
إني نصحتك لا أبغى مسايرة
فنفذي الوعد في فعل وتقرير
مصاعب الدهر درس قد يعلمنا
فن التخصص في وقف الأعاصير
يا خيمة الصحب عودي ركن سلوتنا
ويا طيور الشقا هيا افزعي طيري

آب سنة 1999

رد على اللائمين

كما سبق وذكرت، أن خيمة البيئة والجنينة، أصبحا بعد العناية الفائقة، جنة فيحاء عاطرة بالورود والرياحين، والعشب السندسي الناعم والشلال الجميل المنظر، وخريره يطرب السمع ويبعث الراحة وهدوء النفس، وراحة العقل والجسم لكن البعض كان يلوم رفقة «الشلة» على قبول الطعام الخالي من الدسم، أو التسلية بلعبة الورق البريئة، ترويحاً عن النفس من هموم الصعوبات والمشاكل اليومية، واستبعاداً للقيل والقال إذا اقتصرت الإجتماعات على الأحاديث اليومية.

أيُّـــهـــا الـــلائـــم مـــهـــلاً
لا تـــكـــن فـــي الـــلَّـــوم «نـــيـــئـــة»[1]
تـــحـــســـب الـــخـــيـــمـــة ركـــنـــاً
لـــهـــونـــا فـــيـــه خـــطـــيـــئـــة
مـــهـــنـــة الـــلَّـــوم لـــعـــمـــري
مـــهـــنـــة تـــبـــقـــى رديـــئـــة
فـــهـــي لـــلائـــم وهـــم
وهـــي لـــلـــنـــفـــس مـــســـيـــئـــة
لـــقـــمـــة الـــخـــيـــمـــة تـــبـــقـــى
حـــلـــوة الـــطـــعـــم هـــنـــيـــئـــة
لـــعـــبـــة الـــلـــيـــخـــة فـــيـــهـــا
لـــعـــبـــة الـــفـــن الـــبـــريـــئـــة
أقـــصـــد الـــرَّبـــع فـــتـــلـــقـــى
شـــلـــة لـــلأنـــس «بـــيـــئـــة»

النبطية 2002

(1) أبقيت على كلمة نِيئَة بلفظها المتعارف عليه في الدارج وقد أشرت في البداية إلى أن الإبقاء على الكلمة المحكية يُبقي طرافتها.

النارجيلة

النارجيلة أو الأركيلة باللغة المحكية، أشهر من أن تُعَرَّف يلجأ إليها من يترك السيجارة وهو في الواقع مثل من ينتقل من تحت الدلف إلى تحت المزراب، أو ممن يدعي أنه لا يُدَخِّن السجاير كأن الأركيلة لا تُعدُّ من عشيرة الدُخَّان أو التدخين. والشيء الذي يلفت النظر أن ما يصدر عن الأركيلة من روائح والدخان الذي تُطلقه النرابيش في فضاء الخيمة فوق رؤوس الحاضرين هو ضد تعليمات البيئة. غير أن تقديم الأركيلة لم يعد من صلب عناصر الضيافة التي تقتصر على تقديم الشاي والقهوة والزهورات والمرطبات، كمشروب، وعلى

تقديم المناقيش على أنواعها: بالسّعتر والجبنة والخضرة والكشك أو المشاطيح واللبنة.

في إحدى السهرات، وقبل أن تلغى الأركيلة أو يقل تقديمها، اجتمع حول طاولتي التي كنت أجلس اليها، ثلاثة من العريقين في شرب الأركيلة، حتى أنهم من أبطال المباريات في هذه المهنة، ويمكن لمن يبقى «البز» في فمه حتى نصف الليل، أن يعد فائزاً في المباراة.

مِمَّا يمكن معه القول «أنه يسعى إلى حتفه بظلفه».

فقلت أبيات أصف من يشرب الأركيلة تحت عنوان اعترافات مدمن أركيلة:

اعترافات مدمن أركيلة

أَرْكِيلْتي تْنَادِي عَلَى حُرَّاسِها

تَايْنَورْوا بْجَمْرِةْ فَحِمْ نِبْرَاسْها

ويَعمّروها تصير تَغْلي بَطنْها
ونَربيشْهَا يُنفُخ حِمَمْ أنفاسْها
شْريكا لَوَحدي بالشَّهيق وبالزفير
يِجْمَعْ ما بَيْني وَبَينْها إيناسْها
«دمعي بْعَيني وَدَمْعْهَا فِي قَلْبها
وَنَاريْ بْقَلْبي وْنَارْهَا فِي رَاسْها»
ولمَّا صَفِيرْ الصِّدْرْ أَنْهى دَوْرتُو
وِالنَّفسْ عَافَتْ رُوحْهَا وْإحْسَاسْهَا
قَامْ المُؤَذِّنْ صَارْ يِعلِنْ نَعْوتي
وِالْكنِيسِة يِقْرعُوا أَجْرَاسْها
الْمُدمِنْ حَشِيشَةْ كَيفْ أَوْ تَبْغ البِلَى
الْمُدْمِنْ سِيكَارَة أَوْ كحول بأجْنَاسْها
بْيِخفرُوا بْإِذمَانْهُم سُوء الْمَصِير
وِالمَنَايَا تْلَوِّحْ بْأَعْرَاسْها

النبطية 1990

حرش الصنوبر
المسمى تلة العسكر

حرش الصنوبر «تلة العسكر» هو حرجٌ جارٌ لمركز جمعية حماية البيئة والمحافظة على التراث في النبطية، أو هي جارة له باعتباره الأقدم في الإقامة، والأبيات التي سأذكر ليست طرفة، كما أن الحرج بحد ذاته ليس طرفة، إنما الطريف في الأمر هو تأخر الجمعية في العناية به كتراث وهي المسؤولة على المحافظة على التراث، كما تدعى في عنوانها واسمها وأهدافها، لكن ليس باليد حيلة والأموال قليلة، وبعد أن حصلت على بعض الدعم قامت بوضع خطة للعناية بهذا

الحرج الذي لحقه الإهمال زمناً فصار دغلاً، وهو مركز مهم يمكن أن يكون مكاناً للنزهة والسياحة ومكاناً يقصده من يطلب الراحة والهدوء والهواء النقي والرائحة الذكية المفيدة لكثير من الأمراض، هذا بعد أن تُجرى عليه التحسينات المطلوبة وتغمره العناية بحنان جدي ليس فيه تَصَنُّع أو دعاية وتأثرت من هذه البادرة الطيبة للجهد الذي بُذل وللخطة المرسومة لإكمال الجهد بحيث يستمر ويستمر معه العون المطلوب مادياً وجهداً وعملاً متواصلاً، فكانت هذه الأبيات:

أبيات قيلت في مناسبة زيارة حرش تلة العسكر في النبطية بتاريخ 2001/1/7

قــرب قــصــر الــعــدل حــرجُ
إســمُــهُ تــلَّــةُ عــســكــر
نــام فــي الــنــســيــان دهــراً
ومــع الإهــمــال عــمَّــر
كــان غــابــاً كــان دغــلاً
مــوحــشــاً بــل قــيــل أكــثــر
فــاســتــفــاقــت بــعــد لأي
هــمــم فــي بــأس عــنــتــر
وانــبــرى لــلــبــذل حــشــدٌ
وعــن الــســاعــد شــمَّــر
مــهَّــد الأرض وســوَّى
شــذَّب الــدَّغــل وعــمَّــر

عادت البسمة للمرج
وأشجار الصنوبر
فاح منها العطر في البيئة
عاد اللون أخضر
ومضى كل بشير
قائلاً الله أكبر
نحن نعتز بقوم
أجزلوا البذل، ونفخر

إعادة الشخصية
أو التنازل عنها

عنوان طريف لحالة ليست نادرة ولكنها موجودة وأعتقد أنها سوف لا ترضي النساء ولو أنها حقيقة، ويقال عادة أن «الحقيقة تجرح» وأعطي مثلاً على هذا: عندما تقول لمن يملك عينين نافذتين جميلتين، يا أعمى، يضحك بدلاً من أن يغضب، ويعتبرك مازحاً أو فاقد البصيرة في مجافاتك للواقع والحق، بينما لو قلت للأعمى يا أعمى فإنه يغضب والسبب هو أنك تقول الحقيقة.

وحقيقة الأمر بكتابة هذا العنوان هي التالية:

لي صديق عزيز، لا يبادر إلى عمل إلا بعد أخذ الأذن من زوجته أقول له هيا نقوم بزيارة ليس فيها نساء فيقول لا أذهب بدون زوجتي أو بدون إذنها، وهكذا حتى أنها هي التي تقرر له، وإذا كنا في سهرة، ينهي سهرته معنا في وقت محدد لا يستطيع تجاوزه وأخيراً ضقت ذرعاً به وبلطفه المبالغ فيه حتى يمكن معه القول:

«زاد في الرقة حتى. . .» ـ فقلت له من أنت وما أنت فقال لي قل لي من أنا، فقلت له أنت ما سوف أصفك بأبيات عنوانها اعترافات محكوم، على اعتبار أنك أنت تقولها عن نفسك، فكانت هذه الأبيات:

اعترافات زوج محكوم

مُـنَـايَ أخـظـى بِـفُـرصـة
أشـكـو هَـوايَ بِـغـصَّـة
يـا صـاح فـكـرٌ بـعُـمـرٍ
مـضـى وحـالُـك نـغـصـة
فـالـعـمـر قـصـةُ حُـبٍ
وقـصـةُ الـحـب قِـصَّـة
فـاخـتـرْ شـريـكـة عُـمـرٍ
مَـمْـشـوقـة الـقـدِ رخْـصـة[1]
لا فـرق مـاري وريـتـا
لا هـم رنـدا وحَـفْـصَـة
إنْ هـدَّدتـك بـكـعـبٍ
أو شـوبـكٍ أو بـرفـصـة

---

(1) رخصة: طرية العود.

اصبر فآدم قبلاً

قد نال مثلك حصة

أطلب رضاها وإلاً

هيّا استعد لقرصة

أخدمُ بصبر وحاول

أن لا تنالك جرصة

هجاء
بين شاعر وكيميائي

في جلسة ضمت شعراء واختصاصيين في العلوم الكيميائية والفيزيائية، وبعد جدل حاد بين الشعراء والإختصاصيين انبرى كيميائي ووجّه كلامه للشاعر:

Tu est une faible base(1) et je suis un acide fort,

avec un peu de mon salive, je te neutralize(2)

فأراد الشاعر أن يهجوه بطريقة كيميائية فأجابه بما يلي:

---

(1) Base في الكيمياء قاعدة تتفاعل مع الحامض acide

(2) Neutralizer في الكيمياء تعني إبطل المفعول وأزالته.

فوسفور عقلك لا يساوي حامضاً
قَلَوَيْهُ نِتْراتُ فِلْز الشاعر
يا ثاني الأوكسيد كربون به
ضرر يلوث ما يجول بخاطري

ضحكنا وكانت المحاورة طريفة ومسلية.

• • •

الفهرس



المؤلف: الدكتور عبد الأمير ابراهيم شمس الدين

من مواليد مجدل سلم / لبنان الجنوبي

وله الأعمال التالية:

الضرائب: أسسها العلمية وتطبيقاتها العملية - المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر

المؤسسات العامة: مؤسسة الأشرف، بيروت

الرقابة المالية على أعمال الإدارة: مؤسسة الأشرف، بيروت

معجم: مفردات وعبارات من القرآن الكريم

باللغات العربية والفرنسية والإنكليزية - دار المعرفة، بيروت

ترجمات عن اللغة الفرنسية: ستة كتب في الاقتصاد

الاقتصاد الكلي - الاقتصاد الوحدي (الجزئي)

الاقتصاد العام - الاقتصاد الوصفي

أعمال تطبيقية في الاقتصاد - تحليل الأزمات الاقتصادية

كتاب علوم سياسة واجتماعية: **المكان والسلطة**، منشورات المؤسسة الجامعية

عن الفرنسية والإنكليزية - قصص عاطفية وتاريخية وأحداث





رشاد برس ش.م.م